باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فنتحناه ترقيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن المهمة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

النسبة أيضاً

استاذي العزيز الدكتور صروف

هل تأذن لي في هذه المسألة ان أضع رأيي الى جنب رأيك حتى لا يحرم قراء المقتطف وجهتي نظر كلٌّ منهما تعتمد بالاكثر على سند عقليّ فيلولوجي وان اقتضى الامر فعلى سند تاريخيّ اكثر مما على مجرد سند نقليّ يرجع الى قال فلان وقال فلان من الذين تقدمونا لانهم تقدمونا . وبناء على اذنك استأذن القرّاء بعرض ما يأتي من التمهيدات الفيلولوجية المؤيدة او التي يمكن ان تتأيد بشواهد الواقع قديماً وحديثاً وأذكرها بغاية ما استطيعه من الاختصار وهي :

(اولاً) ان أحرف العلة تتبدل بعضها من بعض اذا دعا الى ذلك داعٍ من الخفة وحسن اللفظ فتقلب الواو ياء وبالعكس وكلتاهما تقلبان الفاً او همزةً وبالعكس

ومثل حروف العلة الحركات فانها تتبدّل بعضها من بعض فضلاً عن اختلاس المشبعة او اشباع المختلسة . وكل ذلك يجري بداهةً على اللسان . والعمدة فيه حسن الذوق وبداهة عفو الخاطر . والمختار عندي أنْ يبقى ما أُلف على الالسنة او دُوّن في كتب اللغة والادب على ما الف فيه الا أن تعرض حاجة فيُقاس كلٌّ على مثله ويُنظّر بنظيره

(ثانياً) حروف العلة وحرف النون قريبة المخارج ولذلك فقد يُقلب احدها نوناً ولا بسيما الواو وهو معروف عند الفيلولوجيين ولا يخفى على من تنبّه له عندنا والمتأمّل يرى ان التنوين في « قاضٍ وواشٍ » هو من باب الابدال هذا . وكذلك « التنوين » في جوار فانّ النحاة بقولهم انّ ياء المنقوص من صيغة منتهى الجموع

تُحذف ويعوَّض عنها بالتنوين قد اعترفوا بالابدال ضمناً

ومن هذا القبيل تنوين الترنُّم فانهُ عبارة عن ابدال الحركة المشبعة وهي حرف المدّ نوناً وعلى عكسهِ لو تأمّل متأمل اشباع الحركة في القافية فانهُ عبارة عن قلب التنوين حرف مدّ

وهنا أُشير الى ما يقع على الألسنة من قولهم « ليتا ولعلّ . ولمّا ولمّن . وماو وماهو » ولا يخفى خلل من « الهاء » فانها اخت الهمزة ومعروفٌ ان وضع كلٍّ منهما موضع صاحبتها لغة لبعضهم جرى عليها المتنبي في قوله

لهنَّكِ اولى لائم بملامةٍ واحوج ممّن تعذلين الى العذلِ

واما انقلاب الواو والياء همزة اذا وقعتا بعد الفٍ فيكاد يكون مطرداً وقد قطن لهُ الصرفيون وقرروه في قواعد علمهم بل حسبهُ بعضهم واجباً في مثل قائل وبائع. ومما لا يجوز الغفلة عنهُ هو جواز مدّ المقصور وقصر الممدود فانهُ من قبيل الابدال او القلب . واعودُ فأقول ان جميع ما أشرتُ اليهِ او معظمهُ يُرجع فيهِ الى البداهة وحسن الذوق لا يختصُّ بزمان دون زمان ولا هو مما يحلل لقوم ويحرم على آخرين

(ثالثاً) الواو والياء وبالاخصّ الياء في مثل عين ويوم فيها ثلاث لغات كانت هذه اللغات قديماً ولا تزال محفوظةً الى اليوم وهي

(ا) اخلاص الفتح وهي لغة المتأدبين وعموم اهل الشوف والمتن من اقضية جبل لبنان واخاف ان اشمل في هذا الحكم لغة جميع اللبنانيين

(ب) قلب الياء الفاً فتقول عان ويام وهي لغة معظم اهالي شمالي سوريا ومما يجب ملاحظتهُ انهم عند الاضافة الى الضمير ولا سيما « ياء » المتكلم يرجعون الى تحقيق الياء والواو

(ت) الامالة فيها وهي لغة دمشق وحمص وحماه واهل فلسطين وشرقيّ الاردن اجمالاً ولغة مصر والعراقين على ما ارجّح

واما الياء بعد الكسرة فالاكثر فيها تحقيق الكسر ولكنّ بعضهم يميلونها كثيراً او قليلاً نحو الفتح اذا وقعتْ في المقطع الاخير نحو قاضي ونحو حليب وسليم ولا سيما اذا اتصلت بياء النسبة . ولا تزال هذه اللغة او اللهجة غالبة في مدينة زحلة وما جاورها وقد اشرتُ اليها لانها تفسر لغة من قال في النسبة الى ثقيف ثقفيّ والى حنيفة حنفي والى عليّ وعديّ علويّ وعدويّ فانهم فتحوا ما قبل الياء « وفقاً لهذه

اللغة» فصارت الياء (وهي ساكنة) بعد فتحة قاموا بها الى الالف كما اماموا ياء «عين» ثم تركوا الاشباع

وارجح أنهم اولاً حذفوا الالف في حنفيّ وثقفيّ وعلويّ خطاً لا لفظاً كما حذفوها في « هذا وذلك » اسميّ اشارة وكما في سمويّ ومع الايام والتكرار اصبحوا يحذفونها لفظاً وخطاً

وهذه الجارية التي جرت في حنفيّ وثقفيّ وعلويّ هي الان تتطوّر في «سماويّ وسمويّ » فانّ الاكثرين اصبحوا يكتبونها بدون الف . وحذاق الكتاب يضعون الفاً قصيرة فوق الميم بدلاً من الفتحة ويشيرون بها الى وجود الالف على أن كثيرين منا اصبحوا الان يقولون البركات السموية اي يحذفون الالف لفظاً وخطاً . وجاز لهم ذلك لان المعنى لا يلتبس على احد والذهن ايضاً لا يتوقف فيه حائراً ماذا يقدّر. لكن لو قال قائلنا بركات سماوية (بالف اطول من العصا) كان في جانب الصواب والاصالة كما يكون من يقول

بكل قريشيّ اذا ما لقيتهُ سريع الى داعي الندى والتكرّم

التي تطوّرت اولاً فيها ارجّح الى قراشي بحذف الالف المالة خطاً ثم الى قرشيّ بحذفها لفظاً وخطاً

(رابعاً) إنّ قلب الواو قبل ياء النسبة الى نون وإنْ لم يفطن لهُ (بحسب الظاهر) سيبويه ولا من تقدمهُ كالخليل ويونس لم يفت علاّمة اليمن وادبها صاحب كتاب وصف جزيرة العرب قال هذا الامام العلامة وجه ٥٥ من كتابهِ المشهور -- وينسب الى صنعاء صنعانيّ مثل بهراء وبهرانيّ لانهم رأوا النون اخفّ من الواو . وخولان لا تنسب اليها الا على بنية الاصل صنعاويّ وكلهم يقولون في ساكن الكدراء كدراويّ ولا يقولون كدرانيّ

امّا الفيلولوجيّون فلا يشكّون في هذا الابدال ولكنّهم يقولون انهُ يجري بداهة على الالسنة وانهُ غير لازم ولا مطّرد فان قلت انّا اذا جارينا هولاء الفيلولوجيين اذن لا يعرف قائلٌ بعدها ماذا يقول

قلت بل هو كسائر امثاله من الجائزات لعتمد المألوف المتعارف فيها ولا نعرّج على خلافهِ الاّ عند الحاجة . وازيد فاقول ان ما يجري بداهة على الالسنة قلّما يتغبّى على سامع وقلّما يخالف المتعارف

زعم بعض الادباء في صنعاني وبهراني وامثالها انهُ من قبيل الشاذّ ولا اعلم على ماذا او على من اعتمد في قوله هذا فانهُ لم يعتمد على سيبويهِ ولا على الخليل ولا على الاعاشق كما أؤكد لانهُ لم يُنقل عن واحدٍ منهم في طول وعرض كتاب سيبويهِ ولانهُ ليس احدٌ من هؤلاء ولا من غيرهم يخرّج كلام الرسول على الشاذّ وقد ورد في حديث سليمان إن لكل امرئ جوانيًا وبرّانيًا فمن اصلح جوّانيّهُ اصلح الله برّانيّهُ . تهل يشكُّ هذا الاديب بصحة الحديث ام يقول انهُ منسوب الى جوّ البيت وهو داخلهُ وزيادة الالف والنون للتوكيد كما قال ابن الاثير !

اما انا فعندي انهُ منسوب الى جوّا وبرّا اللفظتين المحفوظتين الباقيتين على الالسنة في الشام كلها وفي مصر والعراقين كما ارجّح وهو من باب صنعاني وبهراني . وان سلّمنا بقول ابن الاثير فالنسبة من قبيل جسداني وروحاني وهي نسبة سريانية فيها علامتا نسبة على ما بيّنهُ العلّامة الملفان المرحوم المطران يوسف داود في كتابهِ اللمعة الشهيّة في نحو اللغة السريانية . ومن هذا عبّاداني نسبةً الى عبّادان (المدينة المعروفة) وعبّادان بدورها نسبة الى عبّاد بن الحصين الذي بناها او نزلها اولاً (راجع عبّادان في معجم البلدان) وقول ابن الاثير ان الالف والنون للتوكيد هو احالة على مجهول لا يرضاها احدٌ ممّن شاموا المبادي الفيلولوجيّة المسلم بها عند كل علماء اللغات في وقتنا الحاضر

(خامساً) ذكر ياقوت في معجمهِ أنّ كان ثلاث عشرة مدينة كل منها باسم الاسكندرية ومنها الاسكندرية قرية على دجلة بازاء الجامدة بينها وبين واسط خمسة عشر فرسخاً يُنسب اليها احمد بن المختار ابو بكر الاسكندرانيّ

(سادساً) يُنسب الى الاعلام مطلقاً بدون قيد ولا شرط . اعلام الاشخاص او الاجناس واعلام المدن والقرى والعشائر والقبائل والملل والنحل والولايات والممالك الخ ولا يُنسب الى الصفات المشتقة . فقاضي وهاشم مثلاً من حيث هما اسما فاعل لا ينسب اليهما للعبث فاذا سمينا بهما قلنا حينئذٍ الاسرة القاضوية والهاشمية واصبح المنسوب اليهِ صفةً تجري عليهِ كل احكام الصفة فهو اذن بهذا الاعتبار لا يجوز النسبة اليهِ . على انهُ اذا أُخرج عن الوصفية الى العلمية « كالاسكندرية والبطية » صار حكمهُ حكم هاشم وعامر او القاهرة والحديثة اعلاماً ويُنسب اليهِ كما يُنسب اليها . انتهت التمهيدات

لنرجع الآن الى النسبة الى الاسكندرية ولنبحث في الصور الجائزة لنا فيها ثم ايها افضل واوّل ما نقولهُ ان الاسكندرية من حيث هي صفة مشتقة من اسكندر لا يجوز النسبة اليها لانهُ من قبيل العيث لاجتماع نسبتين في الاسم الواحد من جهة واحدة ولكنّ الاسكندرية المدينة المعروفة اصبحت اسماً علماً يُنسب اليهِ كما يُنسب الى كل الاعلام المنقولة عن الصفات

اذا فُهم هذا لم يبقَ علينا الاّ ان ننظر في الاوجه الجائزة لنا في النسبة اليها وهو الغاية من كتابة هذه المقالة فنقول يجوز لنا ما يأتي

(اولاً) نحذف التاء تشبيهاً لها بتاء الوحدة ونزيد ياء النسبة ونقول اسكندريّ كما قلنا (او قالوا) اميّ وعديّ وغنيّ . وفي هذه الصورة ما فيها من الثقل وتوسلاً الى ازالتهِ نقلب الياء واواً ونقول اسكندرويّ كما قلنا غنويّ (توهماً) . ولما كان لا يزال هناك ثقل وسببهُ الكسرة المشبعة بين الفتحة اولاً والكسرة ثانياً دفعتنا بداهة الذوق والخاطر الى ابدالها او قلبها فتحةً مشبعةً وقلنا اسكندراويّ كما قالوا في زبيبيّ زبانيّ وفي غنيوي (المتوهمة) غناويّ ويجوز ترك اشباع الفتحة. اما في غناويّ فترك الاشباع فيهِ من الخفة وحسن الوقع في السمع ما ترى في «غنوي» بخلاف زبانيّ واسكندراويّ فان الاشباع فيها ولاسيما في الثاني الطف جدًّا واشهى وقعاً في السمع من قولك اسكندرويّ بترك اشباع الفتحة ومن اسكندرويّ بابقاء اشباع الكسرة مما لا فيها أو غير مما لر . وهنا نقول انا صورنا ابدال الواو بالياء والكسرة المشبعة بالفتحة المشبعة . وترك الاشباع تارة دون اخرى وفي اسم دون غيره كما هو يتطوّر في درجات واعمال فكر تروية والواقع انهُ يجري على السنتنا وكان يجري على ألسنةٍ منّ تقدمنا ببداهة الفطرة وعفو الخاطر تارة بهذه الصورة واخرى بتلك الى ان غلبت صورة من الصور وألفت لسبب غالب ألف

(ثانياً) يجوز لنا ان نقلب الواو في اسكندراوي نوناً كما قلبناها في صناوي وبهراوي وروحاوي ودستباوي وكما قلبناها في برّاني وجوانيّ

(ثالثاً) يجوز ان ننسب الى الاسكندر رأساً ونقول مثلاً قال ابو بكر الاسكندريّ . ولما كانت القرينة الحاليّة الواقيّة تمنع ان يكون المقصود بالنسبة اليهِ هو الاسكندر اقتضى مجازاً ان تكون النسبة الى شيء من معلّقاته او ما يلابسهُ ملابسةً جائزة واضحة وهي ملابسة الباني الى المبنيّ الواضحة والمعروفة اتمّ معرفة تاريخيّة . وهذا عمليًّا يعادل قول من يقول (لانهُ غفل عن المجاز) إنا نحذف

ياء النسبة وتضع بدلها ياء اخرى غيرها لانهُ لا يجتمع علامتا نسبة . والحقيقة هي على ما ذكرنا اي اننا نسبنا مجازاً الى الاسكندر واردنا النسبة الى متعلقهِ اي المدنية التي بناها وعلى فرض اننا نسبنا الى الاسكندرية المدنية المعروفة فيكون حذف الياء للتخفيف لانها ليست بعد ياء نسبة بل اصبحت بعد العلميّة حرف مجاء كياء صقليّة وهي اذا حُذفت قانما تحذف للتخفيف ومع ذلك لو نسب ناسب فقال صقلاويّ او صقيلاّنيّ لكان لا يزال في منزهات ومقاصف النسبة العربيّة ووفقاً لروحها التي هي اقرب الى المنطق والقياس الفطري البديهيّ من اللغات الغربية المهذبة التي نعلمها

(رابعاً) يجوز ان نعتبر الهاء في الاسكندريّة هاء مهموسة ومن اصل الكلمة « وهي كذلك عند التحقيق الفيلولوجيّ » والهاء المهموسة هي الف بين الفِ المدّ والقصر فان اعتبرناها مقصورة قلنا اسكندريّويّ وان اعتبرناها ممدودة قلنا اسكندريّاويّ والصورة الثانية مفضّلة على الاولى لانها اخفّ على اللسان واحلى في السمع . وهنالك الطريقة العلمية التركية اي نترك هذه الهاء على صورتها ونقول اسكندريه ويّ ونقرأها كانما هنالك الف قبل الواو او بدونها وهذه الصورة من النسبة اي العلميّة التركية يظهر حسنها في النسبة الى مثل حَلَبيّة وبغدادية وجعفرية وشرقية وغربية ومطرية وطُرَه ولا سيما في مثل معده وكُبره ونوره وذرّه وقد تنبّهتُ الى هذه النسبة بما جاء للدكتور الاديب محمد جميل الخالدي في مقالتهِ الشائقة في « اللغة العلمية » في مجلة المعهد الطبيّ العربي

الخلاصة

او تلخيص كل ما ذكرناهُ مما دعا الى هذه المقالة هو انهُ في النسبة الى الاسكندرية يجوز لنا ان نقول فلان الاسكندريّ وفلانة الاسكندرية من باب المجاز لاننا نسبنا الى الباني واردنا متعلّقهُ وهو المدينة المبنيّة

ويجوز لنا ان نقول فلان اسكندرانيّ والاسكندراويّ وفلانة الاسكندرانية والاسكندراوية وهذا ما يهمنا . وانا واستاذي الدكتور صروف متفقان في جواز الصورتين اسكندريّ واسكندرانيّ ولكننا مختلفان في التعليل والتعليل هو المهم وهو المقصود بالذات في هذه المقالة ولهُ ما بعدهُ

اما التعليل الذي اذهب اليهِ فهو انا حذفنا التاء من اسكندرية توهماً انها « تاء

وحدة » وقلبنا الياء الاخيرة واواً للخفة وقلبنا الياء التي قبلها الفاً وأثبتناها كذلك وكان يجوز لنا حذفها كما نحذف الياء الاولى في عليّ وغنيّ وعديّ لولا ان حذفها يؤدّي الى الثقل وهو الذي نتجنّبهُ ويؤيد قولنا انا سمعناهم يقولون اسكندراويّ ولم نسمعهم يقولون اسكندرويّ لا بفتح الراء ولا بكسرها . وهذه الواو في اسكندراويّ يجوز فيها التقارب مخرجيّ الواو والنون ان تقلب نوناً في كثير من الصور للخفة وحسن الوقع في السمع ويُفعل ذلك ببداهة الذوق كصنعاوي وصنعانيّ ورَوحاوي وروحانيّ

ونفس هذه النتيجة كان يمكن أن نصل اليها فيما لو كنا اتبعنا مذهب القوم وطرائق تعليلهم ويمنعني من بيان ذلك الآن خوف الاطالة والتكرار وكفى ما كان منعما حتى الآن

واما التعليل التاريخي الذي ورد لاستاذي فاذكرهُ بنصّهِ وهو «انّ عامة العرب لما استوطنوا هذا القطر بعد الفتح سمعوا كلمة « الكسندريان » فلم يفطنوا الى ان النون التي في آخرها هي نون النسبة لأنّ العامة تسمع الكلام وتحفظهُ وتستعملهُ من غير تعمل فألحقوها بياء النسبة على مقتضى مألوفهم فقالوا الاسكندرانيّ وشاع هذا الاستعمال الخ »

فما لفظهُ يحتمل التجريح الذي يستحقهُ كلام استاذي حتى من الوجهة التاريخية فانّ أبا بكر الاسكندراني منسوب الى الاسكندريّة القريبة التي على دجلة لا الى الاسكندرية المصريّة الروميّة

وعلى فرض انّ تلك القرية حفظت ما حفظتهُ اسكندريّة مصر فاذا نقول في قيساراني نسبة الى قيساريّة او في طبراني نسبة الى طبريّة بل في الصالحاني نسبة الى الصالحيّة وفي حاصباني نسبة الى حاصبيّة ودير عطاني نسبة الى دير عطيّة وكيف نعلل عن هذه النون في دير عطاني خصوصاً ؟

واما القول « أن العامة تسمع الكلام وتستعملهُ من غير تعمّل » فأفهم منهُ ان استاذي اراد ان يقول ان عامّة العرب الذين استوطنوا القطر المصري بعد الفتح (وكانوا من صميم اهل الجزيرة العربيّة وأفصح فصحائها) لا يُعول على استعمالهم فان كان ما فهمتهُ صحيحاً فما كان أحبّ اليّ لو فطن استاذي الى الحقيقة العقلية والفيلولوجيّة والتاريخية أيضاً وهي أن سيبويه واساتذتهُ الخليل ويونس وأمثال

هولاء الأعلام ومن تقدم عليهم أو تأخر عنهم لم يضعوا القواعد للعامة وانما اخذوها عنهم وان كل قياس او قانون او قاعدة يضعها علماء اللغة لا يجوز ان تخالف البداهة العامة وان وضعوا مثل ذلك فلا يثبت الا بقوة والى حين ايضاً ان لم تكن القوة التي تسندها ثابتة . ومع ذلك لا تموت اللغة المبنيّة على البداهة بل تبقى حيّاً الى جنب مع التي تسندها القوّة

وآخر ما يصعب عليّ ان اعترض به على استاذي هو قوله « ويقتضي القياس حذف النون » لما فيه من التسرُّع وغض النظر عن المعقول والمنقول معاً . ولا اعلم على ماذا او على من استند في حكمه هذا

وكذلك كنت اود لو ترك اتلانتيكيّ وباسيفيكيّ على حالهما لم يقاقل هذين البحرين العظيمين فان « يك » فيهما مثل « يق » في ارعاطيقيّ وموسيقيّ ومثل (بز) في انكليزيّ و(يك) في انكليكاني وعهدي به يرى الحكمة في بقاء ماكان من المألوف على ماكان . وليأمرني فاني لا اخاف ان اقول ان بداهة من تقدّمنا من الكتاب اقرب الى الحقيقة من اجتهاد بعض المجتهدين المتسرعين في وقتنا الحاضر اعني القرن العشرين لان اجتهاد هؤلاء البعض لا يسنده الاّ علمهم الاعتيادي . وامّا بداهة اولئك فمن وراثها علم واجتهاد كل من تقدّمهم . وبعبارة اخرى ان البداهة العامّة الموروثة خلفاً عن سلف منذ اربعة عشر قرناً الى اليوم وهي واحدة عند ابناء العربية وعند ابناء الانكليز والفرنساويين لا ينبغي ان يستخفّ بها ولا يصحّ العدول عن مقتضاها الا بشهادة العلم البديهية التي هي اقوى منها او بشهادة حسن الذوق البديهي الذي لا يمارى فيه والمعذرة من القراء الكرام على ما اطلت به وكان يمكن فيه الاختصار والسلام

جبر ضومط

الجامعة الاميركانية ببيروت

[المقتطف] صديقنا الاستاذ ضومط بحاثة غيور يبحث المواضيع اللغوية والظاهر انهُ مهما كانت مشاغلهُ كثيرة يجد بينها متسعاً لبحث لغوي مثل هذا قد لا تكون منهُ فائدة الاّ تشحيذ الاذهان . لكن بحثهُ يقود الى بحث آخر واسع النطاق جدًّا وهو تأثير اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية والفارسية في اللغة العربية بعد الاسلام وقبلهُ . وما كانت عليه العربية قبل الهجرة بثلاثة قرون او اربعة وعسى ان يتصدى لهذا البحث ابن بجدتها . اما ما قالهُ بعض اتلنتيكي وباسيفيكي وارعاطيقي وموسيقي فليس صواباً ولا يسعنا تبيين ذلك في هذه الصفحة